



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

# الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام

الكتاب السادس و الستون – يونيو (حزيران) 2012

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

# انتقال الطريقة السعدية من بلاد الشام إلى بلاد البلقان وحضورها هناك

محمد م. الأرنؤوط\*

## الطريقة السعدية في بلاد الشام

على الرغم من الوجود المبكر في بلاد الشام للشخصيات في تاريخ التصوف مثل إبراهيم بن أدهم (ت 162هـ/778) وعبد الرحمن بن أحمد أو أبو سليمان الداراني (ت 205هـ/820 أو 215هـ/830) وغيرهم فقد خلقت الحروب ضد الفرنجة أرضية جاذبة للصوفية خلال الدولة الأيوبية 570-658هـ/1174-1260م، التي اهتمت ببناء المنشآت الخاصة (الخانقاوات) لرعايتهم على نحو غير مسبق<sup>(1)</sup>.

\* أستاذ التاريخ الحديث في جامعة آل البيت / الأردن.

(1) للتوسع حول ذلك انظر: محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ/1250-1517م، القاهرة (دار النهضة العربية) 1980، ص 204-205.

تزامن هذا مع ظهور الطرق الصوفية في الجوار (العراق وتركيا ومصر) كالقادرية التي أسَّسها في بغداد الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ/1165) والطريقة الرفاعية التي أسَّسها في واسط الشيخ أحمد الرفاعي (ت 578هـ/1182) والطريقة المولوية التي تنسب إلى مولانا جلال الدين الرومي (ت 672هـ/1273) والطريقة البدوية التي أسَّسها في طنطا الشيخ أحمد البدوي (ت 675هـ/1276) وغيرها<sup>(2)</sup>.

وبالمقارنة مع هذه الطرق وغيرها (النقشبندية والشاذلية والخلوتية الخ) التي جاءت من الجوار؛ وانتشرت في بلاد الشام فإن الطريقة السعدية التي أسَّسها الشيخ سعد الدين الجباوي (نسبة إلى جبا الجولان تمييزاً لها عن جبا حوران)، تعتبر من أقدم الطرق المعروفة في العالم الإسلامي والأولى التي أسَّست في بلاد الشام لتنتشر منها إلى الجوار (مصر ومنها إلى ليبيا والسودان وتركيا ومنها إلى البلقان).

وفي ما يتعلق بالشيخ سعد الدين الجباوي، الذي تنسب إليه هذه الطريقة، نجد أن الروايات تختلف حول حياته وسنة وفاته وعلاقته بالطرق الأخرى وذلك باختلاف المصادر والروايات والكرامات الشائعة عنه لدى أتباع الطريقة السعدية. وكان من أقدم من أشار إليه المؤرخ السخاوي (ت 902هـ/1497م) الذي ذكر رفعة قدره مع الإشارة إلى أن أولاده وأحفاده اشتهروا بأنه «من كان مخبلاً في عقله يشفى ببركتهم وبركة أسلافهم، إخوان خير ما لديهم خلل في عقائدهم ولا في مذاهبهم فهم أهل كتاب وسنة»، دون أن يذكر شيئاً عن الطريقة أو عن سنة وفاته<sup>(3)</sup>.

وحين جاء المؤرخ نجم الدين الغزي الدمشقي (ت 1061هـ/1651م) لينجز مؤلفه المعروف «الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» كانت قد شاعت عن الشيخ حسن صورة جديدة بين أتباعه تقول إنه «كان من قطاع الطرق»، ثم «فتح الله تعالى عليه وكوشف بالنبي»، وهو ما أعطى «خاصية» لمشايع الطريقة بأنهم «يبرئون من الجنون

(2) للتوسع حول هذه الطرق الدينية وغيرها انظر: د. عبود عبد الله العسكري، تاريخ التصوف في سورية: النشأة والتطور، دمشق (دار النمير) 2006؛ سينسر ترمينجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق د. عبد القادر البحراوي، القاهرة (دار المعرفة الجامعية) 1994.

(3) شمس الدين محمد السخاوي، طبقات الأولياء، مخطوط في مكتبة الأسد رقم 16672 نقلًا عن: محمد غازي حسين آغا، الطريقة السعدية في بلاد الشام، دمشق (دار البشائر) 2003، ج 1، ص 230.

بإذن الله<sup>(4)</sup>. كما واختلفت المصادر اللاحقة حول سنة وفاته (ما بين 621هـ/1224 إلى 700هـ/1300) وحول علاقته بالطرق الأخرى حيث هناك من نسبه إلى أخيه الأكبر الشيخ مزيد لينتهي إلى أن «الشيخ مزيد أخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ أحمد الرفاعي»، لتكون بذلك الطريقة السعدية متفرعة عن الرفاعية<sup>(5)</sup>.

لكن الدراسة الحديثة التي أنجزها الباحث محمد غازي حسين آغا، بالاستناد إلى المصادر السعدية، التي يسلّم بها باعتبارها من أتباع الطريقة، تنتهي إلى صورة أخرى. وهكذا حسب المصادر السعدية ينتسب الشيخ سعد الدين إلى الأشراف الأدارسة في المغرب طلباً للأمان من ملاحقتهم، وإلى هؤلاء يعود والده الشيخ يونس الحسني الشيبني المكي الذي استقر في مكة المكرمة ووجه من هناك بعض أولاده ومن تبعهم للجهاد ضد الفرنجة في بلاد الشام.

وحسب هذه الرواية أيضاً فقد اعترض هؤلاء جماعة من قطاع الطرق وانضم إليهم الشاب سعد الدين لكي يهديهم. وقد اهتدى هؤلاء وغيرهم بعد أن ظهر له ثلاثة فرسان بيض كان على رأسهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والإمام علي رضي الله عنه، وأن الرسول نفخ على ثلاث تمرات أعطاهها له الإمام فنفخ عليها وقدمها لسعد الدين مع الدعاء بالخير له ولذريته إلى يوم القيامة. وحسب هذه الرواية فقد اختار الشيخ سعد الدين بعد ذلك خربة جبا ليبنى فيها رباطاً ومسجداً حيث دفن هناك. وقد سجل على ضريحه الذي جدد في وقت متأخر أنه ولد سنة 460هـ/1067 وتوفي السنة 575هـ/1179<sup>(6)</sup>.

ترك الشيخ أو نسب إليه الكثير من المؤلفات والأوراد، التي اشتهرت مع انتشار الطريقة السعدية الجديدة بفضل أولاده وأحفاده. ومن هؤلاء تجدر الإشارة إلى

(4) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور، ط 2 بيروت (دار الآفاق الجديدة) 1979، ج 1، ص 174-175.

(5) حسين آغا، الطريقة السعدية، ج 1، ص 190-191.

وفي ما يتعلق بالرأي الأول الذي يعتبر السعدية فرعاً للرفاعية يلاحظ أن أهم الباحثين الأوربيين (لوشاتليه، دبون وكوبولاني، بليس، جب وبيون الخ) قد أخذوا بذلك:

A. Dietrich, «Sa'diyya». The Encyclopaedia of Islam. new edition. vol. VIII. Lejden (E.J. Brill) 1995. p. 729.

(6) المرجع السابق، ج 1، ص 222-226 و272.

ابنه الشيخ شمس الدين محمد الأنور (أبو العلا)، الذي «يعود إليه الفضل في نشر هذه الطريقة وتدوين مبادئها وتعداد مناقب وأحوال مؤسسها الشيخ سعد الدين»<sup>(7)</sup>. بينما قام حفيده الشيخ حسن السعدي الجباوي بالانتقال إلى دمشق وحوّل تربة غير مكتملة لنائب الشام المملوكي اينال الجكمي في نهاية الضاحية الجديدة بجنوب دمشق (الميدان) إلى زاوية للطريقة السعدية، وتوفي هناك في التاريخ الذي حدده المؤرخ الدمشقي المعاصر ابن طولون: 11 جمادى الأولى 914هـ / 7 سبتمبر (أيلول) 1508<sup>(8)</sup>، أي عشية الفتح العثماني لبلاد الشام.

وقد اشتهر الشيخ حسن هذا بـ «الكبير» دلالة على مكانته العلمية والصوفية تميزا له عن عدة شيوخ آخرين حملوا الاسم ذاته. وقد ذكر عنه المؤرخ الغزي أنه «كان يقصد للزيارة والاجتماع به إلى دمشق الشام للتبرك وأخذ إجازة أو رواية عنه»، حتى أن العالم المشهور محمد بن عراق (توفي 933 هـ/1526) حين انتقل من بيروت إلى دمشق اجتمع بثلاث شيوخ للصوفية منهم الشيخ حسن<sup>(9)</sup>. وقد أصبحت هذه الزاوية مركز الطريقة السعدية في بلاد الشام ومنها كانت تمنح الإجازات للشيوخ الذين نشروا الطريقة السعدية في تركيا والبلقان، بالإضافة إلى أنها أصبحت لها مكانة معتبرة في الدولة العثمانية حيث كانت تتوقف عندها طلبا للبركة قافلة الحج الشامي باعتبارها كانت تقع تماما على طريق الحج<sup>(10)</sup>.

وقام حفيد آخر للشيخ سعد الدين يحمل الاسم نفسه (الشيخ حسن) ببناء مسجد الذبان في نهاية ضاحية الشاغور جنوب دمشق في جوار مقبرة باب الصغير؛ حيث دفن فيه بعد وفاته في 988هـ/1580 كما وثق ذلك المؤرخ الغزي<sup>(11)</sup>. وقد تحول هذا المسجد إلى زاوية للطريقة السعدية، وبذلك أصبحت الثانية من حيث الأقدمية والأهمية بالنسبة للطريقة السعدية في دمشق. وقد هُدمت هذه الزاوية التاريخية لأجل شقّ طريق جديد في

(7) المرجع السابق، ج2، ص17.

(8) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر) 1962، ج1، ص332.

(9) الغزي، الكواكب السائرة، ج1، ص62.

(10) انظر تفاصيل ما كان يحدث في ذلك اليوم: حسين آغا، الطريقة السعدية، ج2، ص72-73.

(11) الغزي، الكواكب السائرة، ج3، ص139.

1972 ونقل ضريح الشيخ حسن إلى مكان مجاور في محلة السوقية حيث لا يزال هناك<sup>(12)</sup>.

وبالإضافة إلى هاتين فقد بنى أحد رجال الطريقة السعدية مسجداً وزاوية للطريقة السعدية في محلة القيمرية بدمشق القديمة (أي داخل الأسوار)؛ وخصّص لها الكثير من الأوقاف. وحسب المؤرخ محمد جميل الشطي (1882-1959) الذي اطلع على وقفية الزاوية فإن الشيخ محمد السعدي الدمشقي هو من أنشأ هذه الطريقة في 1282هـ (1865م) وجعلها زاوية للطريقة «يحضر عنده المشايخ والعلماء والخاصة والعامّة»<sup>(13)</sup>. وتعتبر هذه الطريقة مهمة لموضوعنا لأنها هي التي حفظت فيها (لسبب ما) الإجازات التي كانت تمنح لخلفاء الطريقة السعدية في تركيا والبلقان<sup>(14)</sup>.

وبالمقارنة مع الطرق الأخرى فقد أعطت السعدية الذكر أهمية كبيرة، وأصبح لكل زاوية ليال معلومة من كل أسبوع طيلة أيام السنة يعقدون فيها حلقات الذكر بالإضافة إلى مواسم معينة يحتفون بها وهي تختلف من زاوية إلى أخرى. وبشكل عام كانت حلقات الذكر تبدأ بقراءة أورداد الطريقة السعدية وبعض المنظمات الشعرية (التي تسمى «الإلهيات» في تركيا والبلقان) والتي تتضمن التوسل إلى الله ومدح الرسول وشيوخ الطريقة والحث على الاستغراق في مقام المحبة والفناء في الله<sup>(15)</sup>.

## انتقال الطريق السعدية إلى بلاد البلقان

كان من الطبيعي حسب الموقع الجغرافي أن تمتد الطريقة السعدية إلى تركيا المجاورة، ومنها إلى البلقان. وفيما يتعلق بتركيا فقد انتقلت الطريقة السعدية إلى هناك في مطلع القرن الثامن عشر على يد الشيخ إبراهيم الشامي أبو الوفا الذي تأسس معه فرع الوفايئة السعدية، والشيخ عبد السلام الشيباني (توفي 1165هـ/1751) الذي تأسس معه فرع السلامة السعدية، وأصبح للطريقة السعدية في نهاية القرن الثامن عشر أربعة

(12) حسين آغا، الطريقة السعدية، ج2، ص99-100.

(13) محمد جميل الشطي، أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر، دمشق (المكتب الإسلامي) 1972، ص248.

(14) حسين آغا، الطريقة السعدية، ج2، ص150، ولدينا في صفحة 228 صورة عن سلسلة خلفاء الطريقة السعدية في البلقان.

(15) المرجع السابق، ج2، ص71.

زوايا في اسطنبول<sup>(16)</sup>.

والى ذلك القرن أيضا يعود انتقال وانتشار الطريقة السعدية في البلقان. ويرتبط ذلك بشخصية مركزية يختلط فيها التاريخ بالكرامات الأقرب إلى الأساطير، ألا وهو الشيخ سليمان بن حسين الذي تخلص في شعره باسم «عاجز» ليشتهر بعد ذلك أكثر باسم عاجز بابا baba Axhizi (حوالي 1637-1728م). ولدينا من المعطيات ما يفيد أن سليمان المذكور ولد قرب مدينة شكودرا Shkodra بشمال ألبانيا، وهناك من يقول أنه من عائلة بوشاتلي Bushati المعروفة<sup>(17)</sup> دون أن يؤكد ذلك بدليل قاطع، التي كانت مركز الولاية العثمانية التي تحمل اسمها وأهم مركز للثقافة الإسلامية في ألبانيا. ويبدو أنه قد أتم دراسته الأولية في شكودرا ثم ذهب إلى عاصمة الدولة العثمانية لاللتحاق بإحدى المدارس المعروفة لمتابعة دراسته هناك. وبعد تخرجه من المدرسة أراد أن يبقى فترة في اسطنبول ليكتسب خبرة هناك، حيث تعرّف على الشيخ إبراهيم وأخذ منه إجازة بالطريقة السعدية<sup>(18)</sup>.

وهنا يختلط التاريخ بالأساطير. فالرواية التاريخية تقول إنه ذهب إلى اسطنبول، وأخذ إجازة الخلافة (إجازة نامه) بالطريقة من الشيخ إبراهيم الشامي، الذي يوحى لقبه أنه قد جاء لتوه من دمشق التي تعرف عند الأتراك باسم «شام» أو «شام شريف». أما الكرامة المروية عنه وعن شيخه الذي أخذ الإجازة منه فتقول إن خليفة الطريقة السعدية الشيخ إبراهيم قد جاء إلى اسطنبول بالصدفة في الفترة التي كان فيها سليمان وصديقه عبد السلام يعيشان معا في اسطنبول.

كان الشيخ إبراهيم يبدو عليه الفقر ويعيش على الصدقات وينام الليل في جامع آيا صوفيا. وفي أحد الأيام مرضت ابنة السلطان وعجز الأطباء عن علاجها فأخبر أحد رجال الحاشية السلطان عن الشيخ إبراهيم فأحضره في الحال وتمكن من علاجها. وقد فرح السلطان كثيرا بشفاء ابنته وقدم هدية كبيرة للشيخ إبراهيم ولكنه رفض ذلك. ولما

(16) Dietrich. Sa'diyya. p.731; Metin Izeti. Kllapia e tasavvufit. Shkup (BFI-FSHI) 2004. p.169.

(17) للمزيد عن هذه الأسرة ودورها انظر مقالتنا:

سنوات شيخ الازهر حسن العطار في ألبانيا، ملحق تراث، بجريدة «الحياة» 2012/2/11.

(18) Dzemal Cehajic. Dervishki redovi u jugoslovenskim zemljama. Sarajevo (Orientalni institut) 1986. p.149.

سمع سليمان بهذا الأمر رغب مع صديقه عبد السلام بزيارة الشيخ إبراهيم في جامع آيا صوفيا. وبعد أن وجداه سألها عما يريدان فأخبراه أنهما يريدان أن يكونا من مريديه، فقال لهما الشيخ إنهما يبدوان من الأغنياء ولا يمكن أن يصبحا مريدين لفقير مثله.

ولما أصرا قال لهما الشيخ إبراهيم: «إذا أردتما أن تصبحا مريدين تعالا عندي في الفجر واستعدا لطريق طويل». وفي فجر اليوم التالي استعد سليمان وعبد السلام ووضعوا ما معهما من ليرات ذهبية في الحزام وذهبا عند الشيخ إبراهيم في الجامع، فأخذهما إلى شاطئ البحر وألقى هناك الجلد الجاف الذي يثر به في الماء وطلب منهم الصعود معه، ولكن الجلد أخذ يفرق معهم في الماء فطلب الشيخ إبراهيم منهما إلقاء الثعابين (الليرات الذهبية) التي معهما ليتمكنوا من النجاة. ومع إلقاء الليرات الذهبية استوى الجلد وأصبحا مريدين له، فطلب الشيخ إبراهيم من سليمان بعد أن أجازته أن ينشر الطريقة في الروملي / البلقان<sup>(19)</sup>.

وبالعودة إلى التاريخ تقول الروايات: إن الشيخ سليمان توجه إلى بلاده مع أولاده الثلاثة (دانيال ولطف الله وعبد الوهاب) وتوقف في طريق عودته في مدينة جاكوفا Gjakova بكوسوفا، التي كانت تنمو بسرعة آنذاك كمركز تجاري وإسلامي، حيث حظي هناك بدعم من مراد اغا بن آدم باشا متصرف شكودرا المجاورة، الذي بنى له التكية السعدية ثم المدرسة الكبرى الأولى في إطار وقفه الذي وثقه فيه 1732. وقد اشتهرت هذه التكية وماتزال باسم «التكية الكبرى» أو التكية الأم لأنه انطلقت منها الطريقة السعدية لتنتشر في المناطق المجاورة، وبالتحديد في مقدونيا وصربيا وألبانيا. فبعد سنوات تابع الشيخ سليمان ابنه دانيال على رأس التكية الكبرى في جاكوبا بعد ن منحه إجازة بالخلافة إلى جانب الابن الآخر لطف الله وتابع طريقه مع ابنه الثالث عبد الوهاب إلى مدينة بريزرن Prizren المجاورة التي تحولت بسرعة بعد الفتح العثماني إلى مركز للثقافة الإسلامية في البلقان<sup>(20)</sup>، حيث أسس في ضاحية بريزرن في المكان الجميل ماراش Marash المطل على المدينة التكية السعدية الثانية التي بقي على رأسها حتى وفاته في

(19) Izeti. Kllapia e tasuvvufit. pp.172-173

(20) للمزيد عن مدينة بريزرن وما فيها من طرق وتكايا صوفية انظر المقالة الخاصة بها في الطبعة الجديدة من «الموسوعة الإسلامية»: M.Kiel. Prizren. The Encyclopaedia of Islam. new edition. vol.VIII. Leidden (E.J. Brill) 1995. pp.337-341.



1743. وفي ما يتعلق ببريزن لدينا كرامات مروية عن الشيخ سليمان، منها أن أحد السكان أراد إحراج الشيخ في فصل الشتاء فطلب منه إثباتا لمكانته أن يستخرج العنب في الكرم المغطى بالثلوج. وتقول الرواية أن الشيخ سليمان مد يده تحت الثلج واستعان بالله فأخرج العنب من الفروع الجافة<sup>(21)</sup>.

وقد نقشت على شاهدة ضريحه المحفوظ حتى الآن قصيدة جميلة تؤرخ لوفاته في آخرها على عادة ذلك الوقت:

الشيخ الكامل، البير الواصل ومظهر فيض الله  
الشيخ سليمان الواصل إلى سر الفناء  
أوحد عصره في العلم والحكمة  
الواقف على سر وإرث علم الرسول الأعظم  
بالذكر والفكر استغرق في الأوراد السعدية  
إلى أن توصل إلى سر سعد الدين  
وبعد أن نزلت آية «وكل من عليها فان»  
بقي ينتظر بشوق تتمتها «رجع...»  
وفي النهاية أخذه عشق المحبوب  
قال «ياهو» إنك تنقل كل العالم إلى الخلود  
طارت روحه بشوق من جسمه  
حيث استقرت في مقعد صدق بأمر من الله: 1160<sup>(22)</sup>

والى حين وفاته تقول الروايات المتناقلة عنه، التي لاتنقصه المبالغة، أنه قد أسس 72 تكية للسعدية في المناطق الالبانية التي تشمل هنا مكدونيا وكوسوفا وألبانيا

(21) Dr.Miokom Zeqo. Teqet shqiptare te sektit mistik te poetit Persian Saadi

(22) Nehat Krasinqi.Dy dokumente gjenealogjike te rendesishme.Dituria Islame 59.(22) Pristine 1994.p.60.

وجنوب غرب صربيا<sup>(23)</sup>. وفيما يتعلق بألبانيا يعترف الشيخ رجب في كتابه «التصوف الاسلامي والبيكتاشية» أن السعدية قد أصبحت من الطرق المعروفة في ألبانيا<sup>(24)</sup>، حيث انتشرت تكاياها في لسكوفيكو Leskoviku وتبيلينا Tepelena وجيروكاسترا Gjirokastra وتيرانا Tirana وتروبويا Tropoja<sup>(25)</sup>.

وفيما يتعلق بالنكية الكبيرة التي أسَّها الشيخ سليمان في بريزرن ودفن فيها نجد أن سلسلة شيوخ الطريقة السعدية في البلقان المحفوظة بالزاوية السعدية بدمشق القديمة توضح أن ابنه عبد الوهاب أخذ منه إجازة بالخلافة وخلفه في مشيخة الطريقة حتى وفاته في 1174 هـ / 1760 م، بينما نجد حفيده الذي يحمل اسمه (سليمان بن عبد الوهاب) ذهب الى تكية الجبائي في دمشق لآخذ إجازة بالخلافة من هناك ، وكذلك فعل الحفيد الآخر أحمد بن عبد الوهاب<sup>(26)</sup>.

أما فيما يتعلق بصربيا فقد انتشرت الطريقة السعدية في بلغراد والمناطق الجنوبية الغربية ذات الغالبية الألبانية، وبالتحديد في نيش Nish وفرانيه Vranje وليسكوفاتس Leskovac. وفيما يتعلق ببلغراد، التي كان تسمى «دمشق الأوربية» حتى مطلع القرن العشرين، فقد قام أحد أتباع الطريقة خلال خدمته في بلغراد (الدفتار حسني آغا) ببناء تكية في 1783 للشيخ مصطفى<sup>(27)</sup>. كما قام الشيخ محمد خراباتي ابن أحمد الذي أخذ إجازة بالطريقة من «المعلم الثاني» الشيخ سليمان بإنشاء تكية للطريقة السعدية في نيش Nish وبقي على رأسها الى أن توفى في 1169 هـ / 1755 م، وأخذ الإجازة بالخلافة عنه الشيخ علي الذي أسَّس تكية للطريقة السعدية في لسكوفاتس (لسقوفجه) التي ساهمت في نشر الطريقة السعدية في المناطق المجاورة. ولكن لدينا مايفيد أن الشيخ

(23) Muhamed Pirraku. Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë. Diturë 1-2. Prishtinë 1978. p.89.

(24) Baba Rexhepi. Misticismi islami dhe Bektasizmi. New York 1070. p.102

(25) Izeti. Kllapia e tasavvufit. p.173

(26) ترد هذه المعطيات وغيرها في نسختين مختلفتين لسلسلة خلفاء الطريقة السعدية في بلاد الألبان نشرها الباحث نهاد كراسنيثي لأول مرة في مجلة «النور الإسلامية» (عدد 59، بريشتينا 1994) ثم أعاد نشرها في كتابه «ساهمات ألبانولوجية» الذي صدر مؤخرا: Nehat Krasniqi. Kontribute albanologjike. Prishtinë (Instituti albanologjik) 2011. pp.51-73

(27) Divna Djuric- Zamola. Beograd kao orijentalna varos pod Turcima. 1521-1867. Beograd (Muze grada Beograda). p.72

## انتقال الطريقة السعدية من بلاد الشام إلى بلاد البلقان وحضورها هناك

اللاحق لهذه التكية ( الشيخ عبد الفتاح ) أخذ إجازة بالخلافة من الشيخ عبد الحليم في بريشتينا ودفن في لسكوفاتس عام 1198هـ/1784م ، وهو مايفيد بوجود تكية للطريقة السعدية في بريشتينا أيضا . ومن تكية لسكوفاتس أخذ الشيخ سليمان إجازة بالخلافة من الشيخ حسن بابا و انتقل ليؤسس تكية في فرانیه حيث دفن فيها في 1291هـ/ 1873 . ولكن الحرب الروسية العثمانية 1877-1878 وما أدت اليه من انحسار الوجود العثماني في صربيا دفع بالكثير من المسلمين في بلغراد ونيش وفرانيه ولسكوفاتس الى الهجرة نحو الولايات المجاورة التي بقيت ضمن الدولة العثمانية ، حيث عرفوا هناك باسم «المهاجرين» (28)

وفي مايتعلق بمكدونيا فقد أصبحت كوبريلي أو فلس Veles من أهم مراكز الطريقة السعدية في البلقان . ولدينا في مصادر الطريقة (سلاسل خلفاء الطريقة) مايفيد أن الشيخ محمد خراباتي بن حسين أخذ إجازة بالخلافة من الشيخ دانيال ابن «المعلم الثاني» الشيخ سليمان في «التكية الكبرى» بجاكوبا في 1166هـ/ 1752-1753م ، وانتقل الى كوبريلي/ فلس ليؤسس التكية السعدية هناك التي دفن فيها عام 1181هـ/1767-1768م . وقد أسست هناك تكية أخرى للطريقة السعدية ، تكية حسين هود بابا التي اشتهرت أكثر باسم «كير تكية» في 1207هـ/ 1792م بمساعدة من علي باشا تبلينا الذي كان يسيطر على جنوب ألبانيا . ولكن التكية الام هدمت في 1289هـ/ 1872 مع مد سكة حديد سكوبيه- سالونيك ، فقام الشيخ مرتضى ببناء تكية أخرى بدلا منها . ومع جلاء أو إجلاء المسلمين عن صربيا بعد إعلان استقلالها في 1878 تلاشى وجود الطريقة السعدية في المراكز المذكورة في الاقضية الاربعة التي ضُمَّت الى صربيا في 1878 . مع انحسار وجود المسلمين هناك وهجرة مشايخ الطريقة الى ولاية كوسوفا التي كانت تضم مكدونيا الغربية وكوسوفا الحالية . ومن هؤلاء كان الشيخ وفا بابا الذي ذهب الى سكوبيه وأسس تكية للطريقة السعدية في محلة «طوب خانه» (29) .

(28) لدينا معطيات كثيرة عن الشيوخ الذين تولوا تكايا لسكوفاتس وفرانيه منذ تأسيسها حتى ضم هذه المناطق الى صربيا التي أعلنت استقلالها بموجب قرارات مؤتمر برلين في صيف 1878 في سلسلتي خلفاء الطريقة السعدية التي نشرها الباحث كراسنيشي ، المرجع السابق ، ص 51-73 .

(29) Lidija Kumbarazi-Begovic, Osmanski spomenici bo Skopje. Skopje (Islamska zajednica bo RM) 1998. p.131.

ومن هؤلاء «المهاجرين» الذين جاؤوا من جنوب صربيا لدينا الشيخ إسلام الذي هاجر من ليسكوفاتس الى مدينة جيلان Gjilan بكوسوفا المجاورة، التي نشأت كمدينة بطابع اسلامي في النصف الثاني للقرن الثامن عشر، حيث بنى في «محلة المهاجرين» تكية للطريقة السعدية في ثمانينات القرن التاسع عشر على الارجح<sup>(30)</sup>.

## الطريقة السعدية والتطورات السياسية الجديدة

تأثرت الطريقة السعدية انتشارا وانحسارا بالتطورات السياسية التي عصفت بالمنطقة، وخاصة بمآل الدولة العثمانية ووصول الاحزاب الشيوعية الى السلطة بعد الحرب العالمية الثانية.

وفيما يتعلق بالدولة العثمانية يمكن القول أن الحرب الروسية العثمانية 1877-1878 كانت نقطة فارقة في مصير المسلمين في البلقان، حيث جرفت مناطق واسعة من المسلمين وعقدت استنبول معاهدة مذلة مع روسيا القيصرية (سان استيفانو) تخلت فيها عن مناطق واسعة ثم جاء مؤتمر برلين في صيف 1878 ليقنن دوليا هذا الانحسار العثماني ويسمح للنمسا باحتلال البوسنة والهرسك أيضا<sup>(31)</sup>. وفي غضون ذلك كان تخوف المسلمين على مصيرهم يعبر عن نفسه في حركة سياسية تقاوم سلخ المناطق التي يعيش فيها المسلمون عن الدولة العثمانية، وهي الحركة التي اشتهرت باسم «رابطة بريزرن» 1878-1881 وأسست قوات خاصة بها لحماية تلك المناطق وانتهت بالصدام مع الدولة العثمانية التي كانت مجبرة على تسليم هذه المناطق<sup>(32)</sup>.

ومايهمنا هنا أن شيوخ الطريقة السعدية برزوا في هذا الحراك الشعبي، حيث ساهم شيخ التكية السعدية في بريزرن الشيخ أمين شيخو في تأسيس «رابطة بريزرن»<sup>(33)</sup>.

(30) Kadri Halimi. Derviski redovi i njohova kultna mjesta na Kosovu. Glasnik Muzeja Kosova. Pristina 1957. pp.193-206

(31) للمزيد حول ذلك انظر كتابنا: الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد الى سراييفو، عمان (دار البشير) 1993، ص 182-183.

(32) للمزيد عن هذه الرابطة ونتائجها: د. أنتوني سوريال عبد السيد، الرابطة القومية لالبنانية أو «رابطة بريزرن الالبنانية» 1878-1881، القاهرة (دار الثقافة) 1986.

(33) Poezia e Bejtexnjive. patathenien dhe pergatiten per shty e beri Mr.Hajdar Salihu. Pristine (Rilindja)1987. p.263

ونتيجة لهذه التطورات انحسر الوجود المسلم والوجود السعودي من المناطق التي تنازلت عنها الدولة العثمانية لصربيا (وخاصة من مدن نيش وفرانيه وليسكوفاتس وضواحيها)، وهو ما أدى الى انتقال الوجود السعودي الى مكدونيا وكوسوفا المجاورة، حيث أسس الشيخ وفا بابا تكية في سكوبيه بينما أسس الشيخ إسلام تكية في جيلان كما مر معنا.

وباستثناء ألبانيا التي أعلنت استقلالها في أواخر 1912 واستقرت حدودها الحالية في 1920 بعد انضمامها الى عصبة الامم آنذاك، فإن المسلمين في المناطق الاخرى المذكورة (كوسوفا ومكدونيا وصربيا والبوسنة) أصبحت في أواخر 1918 ضمن الدولة الجديدة التي نشأت آنذاك (مملكة يوغسلافيا). وقد تميزت الدولة الجديدة منذ سنواتها الاولى بسياسة ترهيب ضد المسلمين (وخصوصا في مكدونيا وكوسوفا والسنجق) لدفعهم الى الهجرة الى تركيا، وهو ما أدى بالفعل الى هجرة مئات الالوف من المسلمين الى تركيا خلال مرحلة ما بين الحربين وتدمير وإغلاق بعض الجوامع والتكايا نتيجة لذلك<sup>(34)</sup>.

وفي هذا السياق انحسر الوجود السعودي في «مركز السعدية» جاكوفا التي كانت تتميز بوجود أربعة تكايا للسعدية، حيث أغلقت تكية واحدة وشغرت «التكية الام» في 1928 بعد وفاة الشيخ كمال شيخو (حفيد المؤسس الشيخ سليمان) دون أن يترك خليفة. وقد قام أخوه الاصغر شوكت بالذهاب آنذاك الى دمشق ليأخذ الاجازة بالمشيخة من شيخ الطريقة السعدية في دمشق آنذاك الشيخ ابراهيم. ولكن بعد وصوله الى حلب تعرض الشيخ شوكت الى الاعتقال من قبل سلطات الانتداب الفرنسي ونقل الى سجن دمشق، حيث بقي ستة شهور في السجن الى أن تدخل شيخ الطريقة السعدية بدمشق. وقد احتقى به، كما تقول الروايات، الشيخ ابراهيم و عندما عاد الى موطنه ليتولى «التكية الكبرى» جرى له احتفال كبير في أواخر 1929. وقد تعرض الشيخ شوكت الى محنة أخرى بعد وصول الحزب الشيوعي الى الحكم في يوغسلافيا في 1945 واستمرار المعارضة ضده في

(34) وصل هذا الوضع الى ذروته في 1938 حين وقعت الحكومة اليوغسلافية بالاحرف الاولى اتفاقية مع الحكومة التركية لتهجير معظم المسلمين من جنوب يوغسلافيا (كوسوفا ومكدونيا) الى تركيا، ولذلك نجد أن مجلة «الأمة العربية» La Nation Arabe التي أسسها شكيب أرسلان في جنيف قد خصصت في عددها 18-19 مقالا كاملا بعنوان «وضع المسلمين في جنوب يوغسلافيا» يستعرض الحالة السيئة للمسلمين آنذاك. انظر ترجمة كاملة للمقال في ملحق كتابنا: كوسوفو- كوسوفا: بؤرة النزاع الالباني الصربي في القرن العشرين، القاهرة (مركز الحضارة للدراسات السياسية) 1998، ص125-128.

كوسوفا ، إذ أعتقل لمدة اسبوعين في 1946 بتهمة إيواء معارضين للنظام الجديد . وبعد الافراج عنه بقي على رأس هذه التكية حتى وفاته في 1952<sup>(35)</sup>.

ومن ناحية أخرى كان للتطور السياسي الاخر ( وصول الاحزاب الشيوعية الى الحكم) أثره الكبير على المسلمين والسعدية سواء في يوغسلافيا أو في ألبانيا. وكما حدث في 1878 فقد أحسّ المسلمون بالخطر، هذه المرة من قدوم هذه الاحزاب الى الحكم، ولذلك فقد بادروا الى تأسيس «رابطة بريزن الثانية» في 1943، التي انضم اليها شيخ التكية السعدية في بريزن الشيخ موسى شيخو. ولكن بعد تمكن قوات الحزب الشيوعي اليوغسلافي من السيطرة على بريزن وكوسوفا في صيف 1945 قامت بإعدام من شاركوا في المقاومة ومنهم الشيخ موسى الذي دفنته في مكان ما خارج بريزن وأغلقت التكية السعدية في بريزن. وقد أتبع ذلك في 1950 بهدم هذه التكية على الرغم من قيمتها العمرانية التاريخية، ولم تترك سوى التربة المجاورة التي تضم أضرحة شيوخ الطريقة بمن فيهم المؤسس الشيخ سليمان<sup>(36)</sup>.

وفي الحقيقة تميزت الفترة الاولى من الحكم الشيوعي في يوغسلافيا بسياسة ترهيب منظمة تهدف الى دفع أكبر عدد منهم الى الهجرة الى تركيا، وهو ما أدى بالفعل الى هجرة مئات الالوف حتى 1966 حين أعلن الرئيس تيتو عن عزل نائبه ألكسندر رانكوفيتش الذي حمّله مسؤولية تلك السياسة المناهضة للمسلمين . ومع انتهاج النظام اليوغسلافي سياسة جديدة تجاه المسلمين، بعد أن أدت السياسة السابقة الى انحسار عدد المسلمين وتدمير بعض الجوامع والتكايا ذات القيمة التاريخية، قام النظام الشيوعي في الالباني في تلك السنة بالذات ب«ثورة ثقافية» على النمط الماوي اتخذت موقف معاديا للدين، وهو ما أدى في 1967 الى اصدرار «مرسوم منع الدين» الذي تحولت ألبانيا معه الى أول دولة إلحادية.

ونتيجة لذلك فقد أغلقت فورا كل الجوامع والتكايا وصودرت مافيها من مخطوطات وأرسل كل رجال الدين الى «معسكرات العمل» لتعلم مهن أخرى، بينما هدمت

(35) Luma-Deda.Drita shkelqyeshme hyjnore.pp.63-81

(36) Muhamed Shkuriu. Prizreni i lashte.Priren2001. pp.64-65

بعد ذلك بعض الجوامع والتكايا وتم تحويل بعضها الاخر لاستخدامات أخرى (متاحف ومعارض ومخازن الخ)<sup>(37)</sup>. وقد استمرت هذه الحالة الى نهاية 1990 حين اجتاحت التحولات الديموقراطية أوروبا الشرقية، وأعيد بالتدريج فتح الجوامع والتكايا في ألبانيا بما في ذلك السعدية منها. وقد تتوج هذا الامر في تيرانا خلال شهر نيسان 1994 بافتتاح «المؤتمر الوطني للطرق العلية» الذي شاركت فيها الطريقة السعدية المنبعثة، والذي كان يهدف الى إرساء التعاون بين الطرق الموجودة (البكتاشية والخلوتية والقادرية والسعدية الخ) خلال المرحلة الجديدة التي تمر بها ألبانيا<sup>(38)</sup>.

## الحضور الصوفي والثقافي للطريقة السعدية

مع انتشار التكايا في المدن المذكورة نشرت الطريقة السعدية منهجها الخاص بها مع بعض التكيف مع الوسط الجديد. فالتكية كانت تتألف من ثلاث أقسام رئيسية: قاعة السماع أو «سماع خانة» والميدان و«أوجاق القهوة». وفي التكية كانت تعقد حلقات الذكر مرتين في الاسبوع، يختلف تحديدها من تكية الى أخرى، مع الجمع بين الذكر الجمهوري القيامي والذكر القلبي. وتبدأ حلقة الذكر لاتباع الطريقة وهم جلوس بقراءة شيخ التكية للفتحة وتقرأ بعدها الأوراد السعدية ثم «كلمة التوحيد» وبعدها الدعاء وقراءة الفتحة. وبعد ذلك يقوم الجميع ويبدأون جهرًا بذكر ألفاظ الجلالة (هو، حي، دائم، قيوم الخ) ثم يتحولون للذكر القلبي، بينما يتولى بعض الافراد بإنشاد المنظومات الشعرية أو «الالهيات» التي نظمها بعض شيوخ الطريقة وتعبر عن رسالتها<sup>(39)</sup>.

ومع ذلك يلاحظ هنا أن الطريقة السعدية تأثرت بالمحيط البلقاني الجديد حيث انتشرت فيه الطريقة البكتاشية التي أرست تقاليد شيعية. فبالإضافة الى حلقات الذكر هذه على مدى العام أصبحت بعض تكايا الطريقة السعدية تحتفي مثل البكتاشية بالعرش الاول من محرم، حيث يتم الامتناع عن أكل اللحم وتناول الحلو بل يكتفى أتباع

(37) للمزيد حول هذه «الثورة الثقافية» وتأثيرها انظر مقالنا: الدين والمسألة الدينية في ألبانيا، مجلة «العربي» عدد 239، الكويت 1978.

(38) للمزيد حول واقع الطريقة السعدية في ألبانيا انظر: Ismail H. Aga. Tarikati islamik Saadi. Tirane (Eurorilindja) 1996

(39) الرابط الالكتروني للطريقة السعدية في جيلان: Shehu.spenden.oficelive.com

الطريقة بتناول الخبز والملح ولا يلامسون النساء خلال تلك الايام، التي تتشد فيها «الالهيات» أيضا<sup>(40)</sup>.

وقد قدّر شيوخ الطريقة أهمية الشعر في نشر رسالة الطريقة، ولذلك فقد اهتم بعضهم بنظم هذه «الالهيات» التي كانت تتشد بصوت رخيم ومؤثر في المناسبات المختلفة، بالإضافة الى اهتمامهم بالتأليف في مجال التصوف. وكانت التكية تحتوي في العادة على مخطوطات تتعلق بأدب الطريقة أو بالتصوف بشكل عام. ولكن ظروف المنطقة من حروب ونزاعات قد أدت الى فقد الكثير من المخطوطات الموجودة في التكايا والجوامع. وكان الشيخ المؤسس سليمان قد اشتهر بلقب «المعلم الثاني» لكونه قد اشتغل أيضا بالتأليف. ومما نعرف من نتاجه «رسالة في أخلاق التصوف» بقيت منها نسخة محفوظة بمكتبة الوالدة العتيقة في اسكدار بتركيا<sup>(41)</sup>. وبالإضافة الى ذلك فقد وصل الينا ديوانا شعر من ابداعه، الاول يتضمن قصائد باللغات العربية والتركية والفارسية وهو محفوظ في المكتبة الوطنية بكوسوفا، والثاني يشتمل على قصائد في اللغة العثمانية وهو محفوظ في المكتبة الشخصية للشيخ رشدي في جاكوفا. وتبين قصائد الشيخ سليمان أنه كان من كبار الشعراء المتصوفة الالبان الذين برزوا في كوسوفا خلال الحكم العثماني<sup>(42)</sup>.

ومن الشيوخ الشعراء أيضا حفيده الشيخ أمين شيخو (1789-1918)، الذي كان من الشخصيات العامة المعروفة في كوسوفا وألبانيا بسبب مشاركته في تأسيس «رابطة برزرن» في 1878 وفي تأسيس «رابطة بيا» في 1899<sup>(43)</sup>. ومن قصائده المعروفة في هذه المجال واحدة كتبها في الالبانية بحروف عربية ونشرت مؤخرا في الالبانية بالحروف اللاتينية بعد أن أصبحت الابدجية الرسمية منذ 1912:

قلها من القلق بعشق:

(40) المصدر السابق.

(41) كان بورصالي محمد طاهر أول من أشار الى ذلك في كتابه «المؤلفون العثمانيون»: Bursali Mehmet Tahir. Osmanli muellifleri. Istanbul 1338. vo.1. p.123-124

(42) Krasniqi. Kontrinite albanologjike. pp.57.59

(43) اشتهرت هذه الرابطة أيضا باسم «بيسا بيس» (رابطة العهد) وعارضت أي اقتطاع جديد للمناطق الالبانية لصالح الدول المجاورة (صربيا والجبل الاسود وبلغاريا واليونان) وانتهت كذلك بصدام عسكري مع الادارة العثمانية.



لا إله إلا الله

محمد رسول الله

الامام علي أمرنا

أن ننشر الطريقة

لا إله إلا الله

علي ولي الله

وحضرة فاطمة أمرتنا

أن نعلي من شأن آل البيت

لا إله إلا الله

يا فاطمة الزهراء

وإذا رغبت برؤية الامام الحسن

فاخلص لال البيت

لا إله إلا الله

يا حسن المجتبي

وإذا رغبت برؤية الامام الحسين

فأرواحنا لدى العرش الاعلى

لا إله إلا الله

يا حسين كربلاء

الشيخ أمين أمر

بمواجهة الجهلاء

وهديهم للطريقة

لا إله إلا الله

ياسعد الدين جباوي<sup>(44)</sup>.

## الحضور الحالي للطريقة السعدية

مرّت المنطقة التي انتشرت فيها الطريقة السعدية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بتطورات سياسية عاصفة خلال القرن العشرين (الانحسار التدريجي للحكم العثماني حتى انهياره المفاجيء في 1912 وسياسة التضييق على المسلمين خلال يوغسلافيا الملكية 1918-1940 وحكم الاحزاب الشيوعية في يوغسلافيا وألبانيا 1945-1990 وصولا الى النزاعات والحروب في نهاية القرن العشرين) مما أثر كثيرا على وجود المسلمين في غرب البلقان وعلى الطريقة السعدية بطبيعة الحال.

وبالعودة الى أولى التكايا التي أسّها الشيخ سليمان فلا تزال التكية الاولى أو «التكية الكبرى» موجودة في جاكوفا، وهي بذلك تتمتع بقيمة تاريخية سواء بالنسبة لمبناها أو لحفاظها على العلاقة بمركز الطريقة السعدية في دمشق بفضل الشيخ شوكت شيخو (1900-1952). وقد شغل منصب شيخ التكية لمدة سنتين (1952-1954) الى أن حصل ابنه الشيخ عبد الوهاب شيخو على الاجازة بالمشيخة وبقي على رأس هذه التكية حتى 1998، حين خلفه في المشيخة الشيخ يحيى بن الشيخ شوكت الى أن توفى في 2002 ثم خلفه الشيخ موسى بن الشيخ عبد الوهاب الذي لا يزال يتولاها حتى الان. وقد استعادت هذه التكية بعض وهجها التاريخي في السنوات الاخيرة، حيث أقيم فيها في 18 أيار 2009 احتفال كبير بحضور السفير اللبناني في بريشتينا للاحتفاء بصدور الكتاب الذي يؤرخ لهذه التكية ومكانتها في التاريخ الديني والثقافي للمؤلفين فائق دودا وارنست لوما بعنوان «النور الالهي والقومي للتكية الكبرى المستقلة البلقانية عبر القرون»<sup>(45)</sup>.

(44) Poezia e Bejtexhinjeve, p.264

(45) Ernest Luma-Faik Doda. Drita hynore dhe kombetare neper shekujt e teqes madhe autoqefale ballkanike.

وبالإضافة إلى هذه التكية بقيت أيضا تكيّتان أخريّتان في جاكوفا التي كانت تعتبر «مركز الطريقة السعدية». أما الأولى فتعود تقريبا إلى وقت تأسيس «التكية الكبرى» وقد أسسها الشيخ زين العابدين وجددها الشيخ أمين شيخو (1789-1918) بينما على رأسها اليوم الشيخ رشدي. وتتألف هذه التكية التي تقع في قلب جاكوفا (شارع اسماعيل كمال) من طابقين، يحتوي الطابق الأول على سكن الشيخ وغرفة للاعتكاف، بينما يحتوي الطابق الثاني على قاعة السماع وأوجاق القهوة.

وحسب الشواهد على أضرحة الشيوخ فقد كانت تسلسل الشيوخ فيها كما يلي: الشيخ زين العابدين (توفي 1769) - الشيخ محمد بن زين العابدين (توفي 1799) - الشيخ أمين (توفي 1811) - الشيخ حمدي بن أمين (توفي 1918) - الشيخ شكري بن أمين (توفي 1940) - الشيخ ضياء بن حمدي (توفي 1945)، الشيخ عبد (توفي 1985) ومن بعده ابنه الشيخ رشدي الذي لا يزال إلى الآن. وأما التكية الثانية فقد أسسها في وقت متأخر الشيخ جمالي (توفي 1934) وجاء بعده الشيخ جلال الدين والشيخ سعد الدين والشيخ عابدين ويتولاها حاليا الشيخ رمضان.

وفي الحقيقة كان المبنى الأصلي للتكية قد هدم في مطلع العهد اليوغسلافي الشيوعي لتبنى مكانه مدرسة فويه لاكتشفيتش (Voje Lakcivic) التي تحول اسمها بعد 1999 إلى مدرسة زكريا رجا (Zekerija Rexha)، وانتقلت إلى المبنى الحالي القريب الذي أعطي لها في شارع المارشال تيتو (الذي تحول اسمه بعد 1999 إلى شارع الام تيريزا)<sup>(46)</sup>.

أما فيما يتعلق ببريزرن التي أسس فيها الشيخ سليمان التكية الثانية ودفن فيها، فقد كانت تتمتع بشهرة كبيرة نظرا لعمارتها المميزة وإطلالتها الجميلة على المدينة وقيمتها التاريخية باعتبارها تتضمن ضريح الشيخ المؤسس أو «المعلم الثاني». وقد استمرت مشيخة التكية في أحفاد الشيخ سليمان (الذين حملوا كنية شيخ زاده أو شيخو) حتى الشيخ موسى الذي أعدم في 1945 نظرا لمشاركته في «رابطة بريزرن الثانية» المقاومة

Gjakove-Prizren 2009.

(46) Cahajic, Derviski redovi, p.150

وأشكر هنا الباحث كوشتريم شيخو الذي قام بتحديث المعطيات الواردة في المرجع السابق

لوصول الحزب الشيوعي الى الحكم، حين صودرت التكية وكل أوقافها المحيطة بها لتهدم في 1950 وتؤخذ موادها لبناء تعاونية في ضواحي بريزن. وقد تولى ابنه حسين شيخ زاده المشيخة (التي لم يعد لها سوى التربة التي تضم أضرحة شيوخ السعدية) وقام بنقل مقر الطريقة الى بيت العائلة، الذي يعتبر من البيوت المميزة لبريزرن من العصر العثماني، بعد أن أخذ إجازة بالخلافة من الشيخ محمد علي شيخ التكية السعدية في سكوبيه وبقي على رأسها حتى 1989. وبعد موته انتقلت مشيخة الطريقة الى الفرع الاخر من العائلة، حيث تولاهما الشيخ محمد بن الشيخ شوكت شيخ «التكية الكبرى» في جاكوفا، حيث بقي على رأسها الى أن توفي في 2007.<sup>(47)</sup>

وبالإضافة الى ذلك فقد بقيت حتى حرب 1999 التكية السعدية في مدينة جيلان<sup>(48)</sup> التي مرّ ذكرها. وكانت هذه التكية قد عرفت ذروتها في عهد الشيخ توفيق شيخو الذي أخذ الاجازة بالخلافة من الشيخ حسين شيخ التكية السعدية في نسالسا Nestalca قرب بويونافاتس، والذي قاوم الضغوط على المسلمين لتهجيرهم الى تركيا خلال الفترة الاولى من حكم الحزب الشيوعي اليوغسلافي، ولذلك سجن مرتين وأغلقت التكية مع وفاته في 1975. ولكن اتباع الطريقة بقوا يمارسون شعائرهم سرا بعد انتقال مشيخة التكية الى ابنه الشيخ علي حيدر شيخو، الذي يمثل الجيل المتعلم من مشايخ الطريقة السعدية حيث أنه أكمل تعليمه في المعهد العالي للغة والادب الالباني في بريشتينا واشتغل فترة في التعليم قبل أن يتولى مشيخة الطريقة بعد وفاة والده.

وقد أعاد الشيخ علي حيدر افتتاح التكية في 1989 بعد تفكك سلطة الحزب الواحد في يوغسلافيا السابقة، وعادت الحياة الى الطريقة السعدية في هذه المنطقة الى 1999 حين تعرضت التكية الى إحراق متعمد، ولم تزل على حالها بعد الظروف الجديدة الصعبة التي حلت في كوسوفا بعد 1999، حيث لم يتوفر لها أية مساعدة لاعادة بنائها<sup>(49)</sup>.

(47) Vefa Q.Karahoda.Sheh Sulejman .Akhiza Baba. (Tarikati Saadi).Prizren-Gjakove 1997.pp.64-65;Luma-Doda.Drita shkelqyeshme hyjnore.pp.94-96

(48) الرابط الالكتروني للطريقة السعدية في جيلان:

Shehu.spenden.oficelive.com

(49) صحيح أن هذه التكية تقع الان في «جمهورية صربيا» ولكنها في الواقع لاتبعد سوى كيلومترات عن الحدود مع كوسوفا وهي تدخل ضمن الجيب الذي يضم الغالبية الالبانية في جنوب غرب صربيا والذي يرتبط دينيا وثقافيا بكوسوفا.

وعلى ذكر تكية ناسالتسا قرب بويانوفاتس فقد بقيت هذه التكية الوحيدة من نوعها في صربيا، بعد انحسار الوجود المسلم فيها نتيجة للحرب الروسية العثمانية 1877-1878 وقرارات مؤتمر برلين 1878، حيث جاء بعد الشيخ آيت شعباني الشيخ الحالي للتكية خيرالله شيخو.

وفيما يتعلق بمكدونيا فقد أدت التطورات الساسية المذكورة الى ان تتناقص التكايا الكثيرة التي كانت موجودة فيها الى اثنتين فقط: التكية السعدية والتكية الرفاعية. وفيما يتعلق بالتكية السعدية التي كان قد أسسها وفا بابا في نهاية القرن التاسع عشر في محلة طوب خانة فقد تمّ تجديدها وتوسيعها في النصف الاول للقرن العشرين وأصبح لها الكثير من الاتباع ولكنها تداعت نتيجة للزلزال المدمر الذي ضرب سكوبيه في 1963، وأعيد بناؤها بشكل متواضع. ومع ذلك فقد تعرضت في 2002 الى حريق مشكوك فيه أتى عليها بالكامل. وقد أعيد بناؤها مؤخرا ولكن مع تعديلات معمارية حيث أقيم مسجد في مكان التكية الاصلية يتكون من طابقين، الاول للرجال والثاني للنساء مع مكتب لشيخ الطريقة الذي يحتوى على بعض المخطوطات في العربية والتركية، بينما نقلت قاعة الذكر الى الحديقة الصغيرة التابعة للتكية.

وقد تتابع على مشيخة هذه الطريقة بعد المؤسس الشيخ محمد علي بابا والشيخ محرم والشيخ شعبان وابنه الان الشيخ علي رضا. وفي زيارة للتكية في أواخر آذار 2012 أفادنا رفعت ابن الشيخ علي رضا ان التكية لاتزال نشطة وتعدّد حلقات الذكر مرتين في الاسبوع: يوم الجمعة بعد صلاة الجماعة ويوم الاحد بعد العصر. ويلاحظ هنا أن هذه التكية تقع في محلة بغالبية عجزية مسلمة، ولذلك يقوم الشيخ في حلقة الذكر وبعد قراءة الاوراد السعدية بشرح ذلك في اللغة العجزية أيضا (50).